حَيّ يَقظان
في مواجهة الشيطان
من الجزيرة إلى صعدة
جمال الشامي

حَيّ يَقظان

في مواجهة الشيطان

من الجزيرة إلى صعدة

جمال الشامي

النسخة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

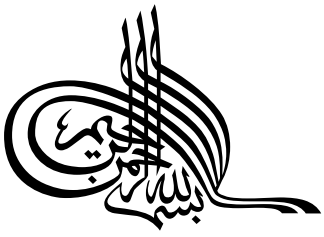
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حي بن يقظان في مواجهة الشيطان، ليست مجرد حكاية؛ إنها رحلة استكشافية لعقل شاب، تستلهم ينابيعها من معينين أساسيين: أولهما، كتاب الإمام الناصر أحمد بن الهادي **"مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين"**، وهو عمل فذ يتناول قضايا القدر، والاختيار، والوسوسة الشيطانية، من هذا الكتاب، استلهمنا المثال المذكور عن الغلام الذي نجا بأعجوبة من تحطم السفينة، ليواجه مصيره وحيدًا على جزيرة نائية، بينما قضى والداه نحبهما في البحر، هذا المشهد المأساوي هو نقطة الانطلاق لقصتنا، حيث يولد حي بن يقظان من جديد في أحضان الطبيعة، وثانيهما، كتاب **"حي بن يقظان ومزاعم تأثير الشيطان عند الإمام الناصر أحمد"** حيث فصّلنا فيه مباحث عن السحر والعين إضافة إلى ما حواه الكتاب الأول، مضيفين إليها رؤى معاصرة وتحليلات مستفيضة.

في هذه القصة، ننسج خيوطًا من الفكر الإسلامي الأصيل، لنقدم قراءة معاصرة لتحديات الإنسان في مواجهة – مزاعم – وساوس الشيطان، مستكشفين قضايا الإيمان، والاختبار، وقوة العقل، نبدأ مع حي وحيدًا، يكافح من أجل البقاء في جزيرة مهجورة، يتعلم لغة الطبيعة ويطور فهمًا فطريًا للعالم، ليكتشف وجود الله بفطرته السليمة، لكن القدر يقوده إلى الخروج من عزلته، في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى اليمن، ثم إلى مدينة صعدة، حيث يلتقي بالإمام

الناصر أحمد بن الهادي – المتوفى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م–، الفقيه الذي يجيب على الأسئلة العميقة، والقاضي العادل الذي ينصف المظلوم.

هذا اللقاء ليس مجرد صدفة؛ بل هو بداية رحلة جديدة من البحث عن الحقيقة، ففي مجلس الإمام، يبدأ حي في استكشاف المسائل العميقة التي تناولها كتاب **"مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين"**: هل إبليس قادر على إضلال الناس قهرًا؟ هل الإنسان مُسَيَّر أم مخيَّر؟ وهل إبليس مسؤول عن كل الشرور؟ تتزاحم الأسئلة في رأس حي، وتحركه كالرياح في حقول القمح، فيجد في الإمام الناصر ملاذه، وفي مجلسه واحة في الصحراء.

سنرافق حي في هذه الرحلة الملحمية، من العزلة إلى المجتمع، ومن الفطرة إلى الفكر، ومن الجزيرة إلى صعدة، حيث يشهد حوارات ونقاشات عميقة تكشف زيف الخرافات، وتعرّي حيل الشيطان، وتؤكد على قوة العقل والمنطق، سنرى كيف يواجه حي تحديات جديدة، ويتعلم دروسًا قاسية، ليكتشف أن الصراع الحقيقي ليس في العالم الخارجي، بل في أعماق النفس، وأن الإيمان سلاح أقوى من كل وساوس الشيطان، وبعد أن ينهل من علم الإمام، ينطلق حي في رحلة جديدة، رحلة العلم واليقين، ليختبر ما تعلمه وينشر الخير في الأرض.

فإلى رحاب هذه القصة، متوكلين على الله، سائلين إياه التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بداية الرحلة

في جزيرة نائية، وسط أمواج المحيط الهادرة، عاش غلام صغير وحيدًا، لم يعرف من الدنيا غير زُرقة البحر الممتد، وخضرة الغابات الكثيفة، ورحابة السماء الواسعة، وُلد من أبوين غريبين، ناجيين من سفينة محطمة، لكن الموت خطفهما قبل أن يتم عامه الثالث، تاركًا إياه وحيدًا بين الأشجار والكهوف، يتعلم لغة الطبيعة بصمت.

كانت الوحدة رفيقه الدائمة، والخوف قرينه الليلي، تتناهى إليه أصوات غريبة في الظلام، وزئير حيوانات تفترس، تجعله ينكمش في كهفه، متمنيًا بزوغ الفجر، لكن الفضول كان أقوى من الخوف، يدعوه إلى استكشاف الغابة، وتتبع آثار الحيوانات، ومراقبة حركة الشمس والقمر.

الإدراك الأول

وجود الله

لم يسمع الغلام كلامًا من البشر، لكنه رأى نظامًا بديعًا يسير الكون، الشمس تشرق كل صباح، ثم تغيب في المساء، معلنة نهاية يوم وبداية آخر، الأشجار تنمو شامخة، وتطرح ثمارًا شهية، الحيوانات تهاجم لتأكل، أو تهرب لتنجو بحياتها، البحر يثور عاتيًا، ثم يهدأ وديعًا، كان كل شيء يسير وفق نظام محكم، لا يعرف الفوضى أو العبث.

كان يتساءل في صمت: كيف يسير كل هذا بإحكام؟ من يضبط مسار الشمس والقمر؟ من يجعل البذور تنبت والماء ينزل من السماء؟ من يوزع الأرزاق على المخلوقات؟ أدرك أن هناك قوة أعظم، قوة ليست كالبحر أو الرياح، بل هي من يسير كل شيء، قوة خفية لا تُرى، لكن آثارها جلية في كل مكان، وهكذا، توصل الغلام إلى معرفة وجود الله بفطرته السليمة، إيمانًا خالصًا لم تشوبه شائبة.

الإدراك الثاني
الخير والشر

كان الغلام يراقب الحيوانات بعين فاحصة، يرى كيف ترعى الأم صغارها بحنان، وكيف تحميهم من الخطر، لكنه يرى أيضًا كيف تحاول بعض الحيوانات سرقة طعام غيرها، وكيف تتقاتل على البقاء، كان يشعر بالراحة عندما يرى الرحمة والمساعدة، وبالضيق عندما يرى الظلم والاعتداء، لم يكن يحتاج إلى من يعلمه أن قتل الصغير أو أخذ ما ليس له خطأ، فقد أدرك ذلك بعقله، عرف أن هناك أفعالًا حسنة يحبها، وأخرى قبيحة ينفر منها، وكأن ضميره الصغير يشير إلى الطريق الصحيح.

ذات ليلة، بينما كان جالسًا أمام نيران صغيرة أشعلها ليتقي برد الليل، تساءل: لماذا يوجد الشر في هذا العالم الجميل؟ لماذا تؤذي الحيوانات بعضها

البعض؟ هل هناك قوة شريرة تدفعها إلى ذلك؟ كان هذا السؤال يؤرقه، ويزيد من وحدته وحيرته.

الانتقال إلى العالم البشري

رائحة الدخان... وبداية جديدة

في يوم من الأيام، بينما كان يتجول على الشاطئ، شم رائحة غريبة لم يألفها من قبل، تبع الرائحة، فوجد سفينة تقترب من الجزيرة، لم يكن قد رأى بشراً من قبل، لكنه شعر بمزيج من الخوف والفضول، كان الخوف من المجهول يكبله، لكن الشوق إلى لقاء كائن يشبهه كان أقوى، تردد للحظة، ثم رفع ذراعه ولوح، متمنيًا أن يفهموا رسالته الصامتة، رأوه، وأشاروا إليه بالقدوم، صعد على متن قارب صغير أرسلوه، وشعر برعشة تسري في جسده، رعشة الخوف والإثارة، رعشة الدخول إلى عالم جديد.

في الرحلة، سمعهم يتحدثون بلغة غريبة لم يفهمها في البداية، لكنه بدأ يلتقط بعض المعاني من تعابير وجوههم وإشاراتهم، كانوا ينظرون إليه بتعجب وشفقة، وكأنه حيوان غريب اكتشفوه في الغابة.

الوصول إلى اليمن

لغة جديدة... وأسئلة قديمة

وصل إلى اليمن، إلى مدينة تعج بالحياة والضوضاء، بدأ يتعلم اللغة شيئًا فشيئًا، مستمعًا إلى الناس في الأسواق والمساجد، سمعهم يتحدثون عن الله، وعن رسله، وعن الدين، وجد أن ما يقولونه قريب مما استنتجه في الجزيرة، لكن شيئًا واحدًا حيّره: كان الناس يتحدثون عن إبليس، كائن قوي يغوي البشر، يوسوس لهم بالشر، ويدفعهم إلى المعاصي، وقف حائرًا: إن كان الشر أمرًا ينفر منه العقل، فكيف يكون لإبليس هذه القوة؟ هل يجبر الناس على الشر؟ وكيف يرضى الله بوجوده؟

كانت الأسئلة تتزاحم في رأسه، تحركه كالرياح في حقول القمح، ولم يجد من يجيب عليها إجابات شافية، شعر بالحاجة إلى شخص حكيم، شخص يعرف أسرار الكون، شخص يستطيع أن يضيء له الطريق.

الوصول إلى صعدة ومجلس الإمام الناصر

البحث عن الحقيقة... في مجلس العلم

سمع الغلام عن الإمام الناصر أحمد، العالم الحكيم، رباني آل الرسول، وإمام المعقول والمنقول، الفقيه الشجاع الذي لا يخشى قول الحق، والقاضي العادل الذي ينصف المظلوم ويرد المظالم، فرحل إلى مقره بصعدة، متجاوزًا الجبال الوعرة والوديان العميقة، ليصل إلى مجلسه، مجلس العلم والهدى.

كان المكان مليئًا بالعلماء والطلبة، والناس يتحلقون حول الإمام يسألونه عن أمور الدين والعقل والقدر، جلس الغلام في زاوية المجلس، منصتًا بعقله المتعطش للمعرفة، وقلبه الظامئ إلى الحقيقة، شعر وكأنه وجد واحة في الصحراء، وملجأ في العاصفة.

المسائل

السؤال الأول: هل إبليس قادر على إضلال الناس قهراً؟

وقف رجل في المجلس وسأل: يا إمام، كيف يضل إبليس الناس؟ هل يدخل قلوبهم ويجبرهم على المعصية؟

ابتسم الإمام الناصر وقال: لو كان إبليس قادراً على التحكم في القلوب، ألا يجعله ذلك مساوٍ لله؟ أليس الله هو من يملك القلوب ويقلبها كيف يشاء؟

هز الحاضرون رؤوسهم موافقين، لكن الرجل أصرّ قائلاً: ولكن القرآن يقول: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾[البقرة:٢٦٨]، فكيف يعد ويوسوس إن لم يكن له سلطان؟

أجاب الإمام بهدوء: يعد بالفقر، لكنه لا يجبر أحدًا على شيء، هل سمعت إبليس يومًا يخاطبك بصوت واضح؟ هل وقف أمامك وأمرك بمعصية؟ إن وعده مجرد حديث النفس، وأمره مجرد إغراءها، والقرار في النهاية لك.

ضحك بعض الحاضرين، بينما تأمل الغلام الكلام، فقد كان في جزيرته وحيداً ولم يشعر يومًا بقوة تجبره على فعل الشر، بل كان يختار طريقه بنفسه.

السؤال الثاني: هل الإنسان مجبر على المعصية أم مخيّر؟

قام آخر وقال: يا إمام، هناك من يقول إن الإنسان مجبر على فعل الخير أو الشر، فهل نحن مسيرون أم مخيرون؟

تنهد الإمام الناصر وقال: لو كان الإنسان مجبراً، فلماذا يرسل الله الرسل؟ ولماذا يعاقب الظالمين إن لم يكن لهم اختيار؟ أيعقل أن يعذب الله من لم يخالف أمره؟!

ثم ضرب مثالًا: تخيلوا غلاماً يعيش في جزيرة لم يسمع عن نبي ولا عن دين، هل سيفعل الخير أم الشر؟

تحرك الغلام في مجلسه، فقد كان هو نفسه ذلك الغلام! استمع بإمعان، وكأن الإمام يتحدث إليه مباشرة.

تابع الإمام: سيجد الغلام بعقله أن الرحمة جميلة، والظلم قبيح، سيعلم أن العدل أفضل من الطغيان، وأن الشكر أفضل من الجحود، العقل وحده يكفي للتمييز بين الخير والشر، وهذا من فضل الله على الإنسان.

أحس الغلام بحرارة في صدره، فقد أدرك ذلك بنفسه في جزيرته، وها هو يسمع نفس الفكرة من الإمام، لكن بكلمات أوضح وأعمق.

السؤال الثالث: هل إبليس مسؤول عن كل الشرور؟

سأل أحد الجالسين: ولكن يا إمام، أليس إبليس هو الذي يوقع الناس في الخطايا؟ أليس هو سبب كل شر؟

ضحك الإمام وقال: لو كان إبليس مسؤولًا عن كل شر، فلماذا يعاقب الله القاتل، والزاني، والسارق؟ أليس الأولى أن يعاقب إبليس وحده؟ هذا ظلم لا يرضاه الله لعباده.

ساد الصمت في المجلس، أكمل الإمام: إبليس لا يجبر أحدًا، النفس هي التي تختار، والهوى هو الذي يدفع الإنسان للشر، ألم يقل الله: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[يوسف:٥٣]؟، إن النفس هي ميدان الصراع، وإبليس مجرد رمز لهواها.

رفع الغلام رأسه متفكراً: إذاً النفس هي التي تدفع للشر، وليس إبليس! هذا يعني أن المسؤولية تقع على عاتقي أنا، وعلي أن أجاهد نفسي لأتغلب على شرها.

السؤال الرابع: هل الله يجبر الناس على الضلال؟

سأل أحد الحاضرين: ولكن هناك من يقول إن الله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فهل يعقل أن الله يخلق إنساناً للضلال ثم يعذبه؟

رد الإمام الناصر: هذا قول باطل؛ لأن الله قال: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[الإسراء:١٥]، كيف يعذب إنساناً لم يبلغه الحق؟ الله عادل لا يظلم أحدًا، ولا يحاسب أحدًا إلا بعد أن يرسل إليه رسولًا يبين له طريق الحق.

ثم نظر إلى الغلام مباشرة وسأله: يا بني، وأنت الذي عشت في جزيرتك، هل كان يمكن أن تعبد الله دون أن يصلك أمره؟

أجاب الغلام بصدق: كنت أعرف أن هناك قوة تحكم الكون، لكني لم أكن أعرف كيف أعبده، ولا ما يرضيها وما يغضبها.

ابتسم الإمام وقال: وهذا هو العدل الإلهي، لا يُحاسَب الإنسان إلا بعد أن تأتيه الحجة. فالله لا يضل أحدًا ابتداءً، بل يضل من أعرض عن الحق بعد أن تبين له.

السؤال الخامس: هل إبليس يملك قوة تفوق البشر؟

قام رجل مسن وقال: ولكن يا إمام، يُقال إن إبليس يرى الناس من حيث لا يرونه، أفلا يجعله ذلك أقوى من البشر؟

أجاب الإمام: نعم، إبليس يرانا، لكن هل يمنعنا من الصلاة؟ هل يستطيع أن يدفع يدك بالقوة كي لا تتصدق؟ إنه يرى مكاننا، لكنه لا يستطيع أن يغير أقدارنا.

ضحك الحاضرون، بينما أضاف الإمام: هو يرى، لكنه لا يقدر، فقط من يتبعه باختياره يقع في حباله، ولو كان إبليس قادراً على إغواء الجميع، فلماذا هناك أنبياء وصالحون؟!

السؤال السادس: هل الشيطان أقوى من النبي؟

سأل شاب في المجلس: إذا كان إبليس يغوي البشر، فهل يمكنه أن يؤثر على الأنبياء أيضاً؟

قال الإمام الناصر بحزم: إبليس ضعيف أمام من يملك الإيمان الخالص، واليقين الصادق، الأنبياء معصومون من الوقوع في المعصية، ومحفوظون من كيد الشيطان، إنما يؤثر على من يتبع هواه، ويسلم قياده لنفسه الأمّارة بالسوء.

السؤال السابع: هل يقدر إبليس على إغواء الإنسان وإضلاله؟

بعد أن استمع الغلام إلى كل تلك الحجج والبراهين، شعر أن هناك شيئًا ما لا يزال غير واضح، ربما لأنه لم يعش بين الناس، ولم يرَ كيف يوسوس الشيطان في صدورهم، رفع الغلام عينيه نحو الإمام الناصر وقال، وبدا عليه التردد: يا إمام، قد فهمت أن إبليس لا يجبرنا على الشر، وأننا نختار طريقنا بأنفسنا، ولكن ما زلت أتساءل، هل يقدر إبليس على إغواء الإنسان وإضلاله حقًا؟ هل لديه تلك القدرة الخفية التي تجعلنا نرى الباطل حقًا، والحق باطلًا؟ هل يستطيع، بتلاعبه ووسوسته، أن يغير مسار حياتنا، رغم إرادتنا؟

وهنا، وكأن الإمام الناصر أراد أن يشرك المجلس كله في البحث عن الإجابة، وجه سؤاله إليهم، بنبرة العالم المتواضع الذي يطلب المعرفة: «أخبرونا: هل يقدر إبليس يغويه ويضله، أم لا يقدر على ذلك؟ فإن قالوا: إنه لا يقدر على أن يضله، لزمهم لنا عجز إبليس وضعفه، وأنه لا يقدر أن يغوي أحداً من الخلق ولا يضله، ورجعوا عن قولهم ودعواهم في إبليس أنه قادر على إضلال الخلق وإغوائهم»، كانت كلمات الإمام بمثابة دعوة إلى التفكير العميق، والبحث عن الحقيقة بأنفسهم.

السؤال الثامن: هل إغواء إبليس للغلام طاعة أم معصية؟

بعد صمت قصير، قطع شاب آخر في المجلس الصمت، وكان يبدو عليه الجدية والتفكير العميق، رفع يده باحترام، وقال: يا إمام، لقد ذكرتم مرارًا الغلام الذي يعيش في الجزيرة، والذي لم يسمع بدين أو شريعة، ولكن لنفترض أن هذا الغلام واجه إبليس، وأغواه، فهل إغواء إبليس للغلام في هذه الحالة يعتبر طاعة لله أم معصية؟ وكيف يمكن أن نحاسب شخصًا لم يعرف الحق، ولم تصله الرسالة؟ بدا السؤال وكأنه يفتح بابًا إلى منطقة شائكة في الفهم الديني.

يجيب الإمام الناصر بحكمة وتفصيل، وكأنه يرسم لهم خريطة واضحة للطريق، ويميز بين الحق والباطل: «فنقول لهم: أخبرونا حيث خلق الله إبليس للطاعة، أليس عليه الطاعة لله فريضة؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فأخبرونا عن إضلاله للغلام أهو طاعة لله، أو معصية؟ فإن قالوا: هو طاعة لله، لزمهم – صَغَرَةً أقمِيَاء – أن إبليس مطيع لله عز وجل في إضلال الخلق، وأنه يوم القيامة على طاعة لا على معصية؛ وفي هذا نقض القرآن، والكفر بالرحمن والخروج من الإيمان. وإن قالوا: إن إضلال إبليس للغلام هو معصية الله، عز وجل. لزمهم انه قد ترك ما خلق له واتبع هواه، وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته، وقالوا بالعدل»، كانت كلمات الإمام بمثابة تذكير بأن المنطق والعقل يجب أن يرافقا الإيمان.

السؤال التاسع: عن كيفية الإغواء للغلام في الجزيرة؟

الآن، بعد أن استمع الغلام إلى كل هذه الحجج والبراهين، شعر أنه بحاجة إلى أن يفهم الأمر بشكل أكثر وضوحًا وتفصيلًا، لقد عاش في عزلة، ولم يرَ كيف يوسوس الشيطان في صدور الناس، وكيف يزين لهم الباطل، قال الغلام، وهو ينظر إلى الإمام بتوق وشغف للمعرفة: يا إمام، أنا لم أرَ إبليس، ولم أسمع صوته، لم أواجه هذا العدو الذي تتحدثون عنه، فكيف يمكن لإبليس أن يغويني أنا؟ كيف يمكن أن يضل غلامًا عاش في عزلة، ولم يعرف شيئًا عن الشر؟ ما هي بالضبط كيفية الإغواء للغلام الذي نشأ في الجزيرة وحيدًا؟ كيف يمكن للشر أن يصل إلى قلب لم يعرف إلا الخير؟

يجيب الإمام، وكأنه يفتح لهم نافذة على عالم الغيب، ويكشف لهم عن بعض أسراره: «ثم نقول لهم: أخبرونا أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[الأعراف: ٢٧]؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فأخبرونا عن ذلك الغلام الذي في الجزيرة، كيف يغويه إبليس، وكيف يضله، وكيف يضل غيره من جميع الخلق – على أنه ما لزم في واحدٍ لزم في جميع الخلق، إذ القصة واحدة؟ فلا بد لهم أن يقولوا: إنه يبدوا لهم، فيردون على القرآن، ويضلهم على وجه من الوجوه. فإن ادعوا أمراً لا تقبله العقول، ولا تقوم لهم به حجة سقط قولهم؛ إلا أن يدعوا إنه يقدر على الخلق كقدرة الله عز وجل؛ على خلقه! فيوجبوا خالقاً آخر قادراً قوياً مع الله! فيلزمهم الشرك والخروج من فيه

الإسلام كافة، لابد لهم من ذلك، أو الرجوع عن الجهل»، كانت كلمات الإمام بمثابة تذكير بأن العقل يجب أن يكون حاضرًا دائمًا في فهمنا للدين.

قدرات إبليس المتخيلة

وهنا، ينتقل الإمام الناصر إلى مرحلة جديدة من الشرح والتوضيح، فيبدأ في تفنيد بعض الأفكار الشائعة حول قدرات إبليس، وكيف أنها تتناقض مع العقل والمنطق والدين، وكيف أنها ترفع من شأن إبليس على حساب الله، وهذا لا يجوز.

- **الوعد والتمنية:**

يبدأ الإمام حديثه قائلًا: يزعم البعض أن لإبليس قدرة خارقة على الوعد والتمنية، وأنها وسيلة فعالة لإغواء البشر، وأنه قادر على أن يجعلهم يرون السعادة في المعصية، والشقاء في الطاعة، يستندون في ذلك إلى آيات من القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة:٢٦٨]، ولكن، لنتساءل بصدق، هل رأيتم يومًا إبليس يقف أمامكم ويعدكم بالفقر، أو يأمركم بالفحشاء بشكل مباشر؟ ألم تروا أن شيطان الإنس يفعل ذلك أيضًا، بل وأكثر؟ ألم تروا التجار الذين يستغلون الناس، والسياسيين الذين يكذبون ويخادعون؟ فلماذا تحصرون الاتهام في شيطان الجن، وتنسون شياطين الإنس الذين نراهم ونسمعهم ونعرفهم، والذين هم أخطر علينا؟.

ثم يعقب الإمام، بنبرة العالم المحذر: وقد ترتب على هذا القول – أي إثبات قوة وقدرة لإبليس خارقة – مفاسد عظيمة، أولها: فساد التوحيد! فلو كان لإبليس من القوة والقدرة ودقة التدبير ما يعجز الخلق عن إدراك كنهه، للزم من ذلك القول بأن لا فرق بين قوة الله وقدرته ولطائف صنعه، وبين قدرة إبليس ودقة تدبيره! وهذا يعني التسوية بين الخالق، الذي هو الواحد الفرد الذي ليس كمثله شيء، وبين مخلوق زُعم له من القدرة ما يجعله نِدًّا لله! وهذا يفسد التوحيد، ويجعلنا نعبد إلهين، إله الخير وإله الشر، وهذا ما لا يقبله عقل سليم!.

- **الوسوسة:**

ثم ينتقل الإمام إلى نقطة أخرى، قائلًا: ويستدلون أيضًا بقول الله تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾[الناس:٦]، ولكن، هل فهمتم معنى الوسوسة حقًا؟ هل هي صوت تسمعونه في أذنكم، أم هي مجرد أفكار وخواطر تأتيكم في قلوبكم، وتزين لكم الباطل، وتثبطكم عن الخير؟ إذا كنت تصلي، ثم خطر ببالك خاطر، فهل أحد يكلمك في صلاتك بشكل مادي وملموس؟ الوسوسة شيء لطيف خفي، كما تدّعون في شأن إبليس، أما أصوات بني آدم وإشغالهم للمصلي فهي كثيرة، لكن لا علاقة لها بمعنى الوسوسة المذكورة في الآية، والتي هي من فعل النفس الأمارة بالسوء.

ثم يستفيض الإمام في شرح حقيقة الوسوسة في اللغة العربية، وكيف أنها تعني ما يخطر على قلب الآدمي من ذِكر الجنة والناس، لا أنهم يوسوسون في صلاته بشكل مادي وملموس.

- **الإغواء:**

بعد ذلك، يتطرق الإمام إلى مفهوم الإغواء، قائلًا: أما الإغواء، فإنه يتعلق بهوى النفس، الذي يسير مع شيطان بني آدم أيضًا، فالهوى نفسه يعد شيطانًا لأنه يرضي الشياطين، ويجعلنا نتبع شهواتنا وملذاتنا دون تفكير أو تدبر، والدليل على ذلك قول موسى عليه السلام بعد أن وكز القبطي فقتله: ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾[القصص:١٥]، أي أن هذا الفعل من جنس عمل الشيطان، وليس أن الشيطان هو الذي ارتكب الفعل نفسه بشكل مباشر.

ثم يشرح الإمام بالتفصيل كيف أن تحميل إبليس مسؤولية كل فعل شرير يرفع المسؤولية عن الإنسان، ويتناقض مع العدل الإلهي، ويجعلنا نتنصل من أخطائنا.

- **الأعوان:**

ثم يسأل الإمام، بنبرة تحمل تحديًا: ماذا عن أعوان إبليس؟ هل هم مجبرون على الإضلال، أم مخيرون؟ فإن قال المخالفون إن لإبليس أعواناً يفرقهم في البلدان ليضلوا الناس، فالسؤال هنا: هل هؤلاء الأتباع مجبورون على الإضلال أم مخيرون؟ إن قالوا إنهم مجبورون، فهذا يستلزم أن البشر بلا حول ولا قوة أمام

تسلط إبليس وأعوانه، وهذا يتناقض مع أساسيات ديننا، الذي يقوم على حرية الاختيار والمسؤولية الفردية.

- **أن له منقار:**

يبتسم الإمام، وكأنه يسخر من هذه الخرافات: وصل الأمر ببعضهم أن زعموا أن له منقارًا طويلاً، يدخله في أذن الإنسان حتى يصل إلى قلبه، فيوسوس له بذلك! هل يعقل هذا؟ هل يمكن أن يدخل شيء في أذنك دون أن تشعر به؟ هذا محال، لأن الله جعل لنا حواسًا ندرك بها ما يحيط بنا، ونميز بين ما ينفعنا وما يضرنا. فهل نصدق هذه الخرافات، أم نصدق عقولنا وحواسنا؟.

- **العلم بالغيب:**

يرفع الإمام صوته، وكأنه يريد أن يحذرهم من خطر عظيم: وصل بهم الضلال أن زعم بعض الحشوية المنحرفين عن الحق، أن إبليس ادعى العلم بالغيب! قالوا إنه قال: «ما حمل بمحمول قط إلا وأنا أعلم متى حمل به...». ألا يعلم هؤلاء أن هذا القول كفر صريح بالله تعالى، وتكذيب لكتابه العزيز؟ ألا يعلمون أن الغيب لله وحده، ولا يعلمه أحد من خلقه؟ فكيف يجرؤون على مساواة إبليس بالله؟

- **الظهور والتحول الشكلي:**

يتناول الإمام قضية أخرى، قائلًا: ويروون أن إبليس ظهر لقريش في صورة سراقة يوم بدر، إن كان هذا صحيحًا، فإما أن يكون ما رووه أصدق من

قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]، وإما أن يكون أحد القولين حقّاً والآخر باطلاً، ولا بد من ترجيح أحدهما، فهل نترك كلام الله، ونصدق هذه الخرافات؟ وهل نرفع من شأن إبليس، ونجعله قادرًا على التشكل والتحول، بينما الله هو القادر على كل شيء؟.

- **الجريان في الدم:**

يهز الإمام رأسه قائلًا: ويقولون إن إبليس يجري في دم الإنسان، هذا خبر لم يأت في كتاب ولا سنة صحيحة، ولا أجمعت عليه الأمة، فكيف نصدق هذا الكلام، ولا يوجد عليه دليل؟.

- **المحادثة:**

يوضح الإمام الناصر: ومن الحجة على من خالفنا أننا وجدناهم جميعًا، إذا تحدثوا عن الجن، لم يذكروا عنهم إلا كلامًا نطقوا به أو أخبارًا نقلوها عنهم، وليس وسوسة كما ادعوا، فقد رووا - مثلًا - حديث خفاف أيام مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وزعموا أن له صديقًا من الجن كان يخبره بمبعث النبي، وكان يأتيه كل ليلة... فهل نصدق الوسوسة أم المشافهة؟ هل نؤمن بقدرة إبليس على التأثير في قلوبنا، أم نؤمن بأن الجن يتحدثون إلينا بشكل مباشر؟.

- **التأثير على القلوب:**

يرد الإمام: ثم إنهم يقولون إن الله جعل لإبليس القدرة على التأثير على القلوب، ولكن هذا لا يجوز؛ لأن الله وحده هو الذي يملك القلوب ويصرفها كيف يشاء، قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الأنفال:٢٤]، فهل نساوي بين إبليس والله؟ وهل نعطي لإبليس القدرة التي لا يملكها إلا الله؟.

- **التأثير في النسيان:**

يوضح الإمام: ويقولون إنه يؤثر في النسيان. فهل نسي موسى الحوت بسبب إبليس، أم بسبب آخر؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[الحجر:٤٢]؟ فكيف يكون لإبليس سلطان على عباد الله، ويجعلهم ينسون ما ينفعهم؟.

- **المشاركة في الأموال:**

يشرح الإمام قائلًا: أما المشاركة في الأموال فهي ليست مشاركة حسية كالبشر، بل معنوية، وتتمثل في الأموال بأخذها بغير حق كالربا، والسرقة، أو إنفاقها في المعاصي، والأولاد بإنجابهم من حرام كأولاد الزنا، أو تربيتهم على الضلال، فطاعة الشيطان في المعاصي تجعل الإنسان شريكًا له في عواقبها.

- **الملازمة كقرين:**

يرد الإمام: ثم إنهم يقولون إن لكل إنسان قرينًا من الشياطين! فماذا يفعل هذا القرين بعد موت الإنسان؟ هل يبقى عاطلًا عن العمل؟ وهل خلق الله الشياطين للإغواء فقط، أم للعبادة أيضًا؟.

- **عَقد إبليس على قافية الرأس:**

يبتسم الإمام قائلًا: ويروون أن إبليس يعقد على قافية الرأس... هذا كلام لا يعقل! هل يمكن لأحد أن يعقد عليك وأنت لا تشعر؟ وهل هذا من الدين، أم من الخرافات؟.

- **التأثير ساعة الولادة:**

يوضح الإمام: ويروون أن الشيطان يؤثر ساعة الولادة... هذه أخبار مكذوبة لا تصح، وتتنافى مع عدل الله ورحمته.

- **التأثير في التثاؤب:**

يتساءل الإمام: ويقولون إن التثاؤب من الشيطان... فماذا يفعل الطفل الذي يتثاءب؟ هل هو آثم؟ وهل يجب علينا أن نقاوم التثاؤب دائمًا، حتى لو كان هذا ضد طبيعتنا؟!.

- **البيات على الخيشوم:**

يهز الإمام رأسه قائلًا: ويقولون إن الشيطان يبيت على الخيشوم... كيف يمكننا أن نتجنب هذا؟ وكيف يمكن لطفل صغير أن يفعل ذلك؟ وهل هذا من الدين، أم من الخرافات؟.

- **التأثير في الأذن:**

يقول الإمام: ويروون أنه يبول في الأذن... هذه رواية لا تصح، وتتنافى مع العقل والمنطق.

- **التأثير في العلاقة الزوجية:**

يوضح الإمام: ويروون أنه يؤثر في العلاقة الزوجية... هذا كلام غير معقول، ويجعل الشيطان شريكًا لنا في حياتنا الزوجية، وهذا ما لا يقبله عقل سليم ولا يقره الذكر الحكيم.

خاتمة القصة

بداية رحلة جديدة... نحو العلم واليقين

كان الغلام ينظر إلى الإمام بإعجاب، فقد وجد في كلماته كل ما أدركه في جزيرته، لكن بشكل أكثر وضوحًا وعمقاً، شعر وكأنه وجد ضالته، ووصل إلى بر الأمان.

بعد انتهاء المجلس، اقترب الغلام من الإمام وقال: يا إمام، لقد عشت وحدي في جزيرة سنوات، وتعلمت من الطبيعة، لكني أجد كل ما عرفته في

كلامك، كأنني كنت أبحث عن الحقيقة ووجدتها هنا. لقد أضأت لي الطريق، وكشفت لي عن الحقائق التي كنت أجهلها.

ابتسم الإمام الناصر وقال: وهذه هي الفطرة يا بني، الله خلق الإنسان ليبحث عن الحق، ومن طلبه بصدق، وجده، فالعقل نور يضيء للإنسان طريقه، والقلب بوصلة توجهه نحو الخير، فاستمسك بهما، ولا تضل بعد أن هداك الله.

لم يقرر الغلام البقاء في مجلس الإمام على الفور، بل طلب منه الإذن بالبقاء لبعض الوقت، يتعلم ويستزيد من العلم، أراد أن يفهم كل شيء بالتفصيل، وأن يربط بين ما تعلمه في الجزيرة وبين ما يسمعه من الإمام، كان يعلم أن رحلته لم تنته بعد، وأن أمامه الكثير ليكتشفه ويتعلمه.

بعد بضعة أشهر، وبعد أن استوعب الكثير من العلم والمعرفة، قرر الغلام أن يسافر إلى مدن أخرى، وأن يلتقي بعلماء آخرين، وأن يرى المزيد من العالم، أراد أن يختبر ما تعلمه، وأن يتأكد من أن طريقه هو الطريق الصحيح، لكنه وعد الإمام بأنه سيعود إليه في النهاية، ليشاركه علمه ومعرفته، وليخدم الدين والوطن، لقد كان الغلام يدرك أن العلم ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لخدمة الإنسانية، ونشر العدل والمحبة في العالم. لقد كان مصممًا على أن يجعل من نفسه أداة للخير، وأن يكون نورًا يضيء للآخرين طريقهم.

وهكذا، انطلق الغلام في رحلة جديدة، رحلة العلم واليقين، رحلة البحث عن الحقيقة المطلقة، رحلة بدأت في جزيرة نائية، ووصلت إلى مجلس الإمام الناصر أحمد بن الهادي، ثم انطلقت إلى آفاق أرحب، نحو مستقبل مشرق.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥
بداية الرحلة ٧
الإدراك الأول: وجود الله ٧
الإدراك الثاني: الخير والشر ٨
الانتقال إلى العالم البشري ٩
الوصول إلى اليمن ١٠
الوصول إلى صعدة ومجلس الإمام الناصر ١٠
المسائل ١١
السؤال الأول: هل إبليس قادر على إضلال الناس قهراً؟ ١١
السؤال الثاني: هل الإنسان مجبر على المعصية أم مخيّر؟ ١٢
السؤال الثالث: هل إبليس مسؤول عن كل الشرور؟ ١٢
السؤال الرابع: هل الله يجبر الناس على الضلال؟ ١٣
السؤال الخامس: هل إبليس يملك قوة تفوق البشر؟ ١٤
السؤال السادس: هل الشيطان أقوى من النبي؟ ١٤
السؤال السابع: هل يقدر إبليس على إغواء الإنسان وإضلاله؟ ١٥
السؤال الثامن: هل إغواء إبليس للغلام طاعة أم معصية؟ ١٦
السؤال التاسع: عن كيفية الإغواء للغلام في الجزيرة؟ ١٧
قدرات إبليس المتخيلة ١٨
- *الوعد والتمنية:* ١٨
- *الوسوسة:* ١٩
- *الإغواء:* ٢٠
- *الأعوان:* ٢٠
- *أن له منقار:* ٢١
- *العلم بالغيب:* ٢١
- *الظهور والتحول الشكلي:* ٢١
- *الجريان في الدم:* ٢٢
- *المحادثة:* ٢٢
- *التأثير على القلوب:* ٢٣
- *التأثير في النسيان:* ٢٣
- *المشاركة في الأموال:* ٢٣
- *الملازمة كقرين:* ٢٤
- *عقد إبليس على قافية الرأس:* ٢٤
- *التأثير ساعة الولادة:* ٢٤

- *التأثير في التثاؤب:* ٢٤
- *البيات على الخيشوم:* ٢٥
- *التأثير في الأذن:* ٢٥
- *التأثير في العلاقة الزوجية:* ٢٥

خاتمة القصة ٢٥

فهرس المحتويات ٢٨